رومولو وريمو

قصة لألبرتو مورافيا

ترجمة : ارغار سركيس

ان الجوع لا سبيل الى مقارنته بأية حاجة اخرى . حاول ان تردد بصوت مرتفع : « اني في حاجة الى زوج من الاحذية ... اني في حاجة الى مشط ... اني في حاجة الى منديل » . توقف لحظة لتسترد انفاسك ، ثم قل : « انى في حاجة الى طعام » وعند ذاك تحس حالاً بالفرق . فمهما يكن الشيء الذي تحتاج اليه ، فان في وسعك ان تتأمله ، وتفتش عنه ، وتختاره ، وقد ترفضه في النهاية . ولكن في اللحظة التي تقر لنفسك بانك في حاجة الى الطعام ، فانك تفقد مقدرتك على الصبر ، ويتحتم عليك ايجاد الطعام ، او الموت جوعاً .

في الخامس من شهر تشرين الاول من هذه السنة ، جلست الى حافة ينبوع في حي كولونا ، وقد انتصف النهار ، وقلت لنفسي : « اني في حاجة الى طعام » . ورفعت عيني اللتين كنت ركزتهما على الارض خلال التأمل في الطعام ، ونظرت صوب (كورسو) فظهرت لي البلدة في حالة تقلقل واهتزاز . كان قد مضى علي اكثر من يوم دون ان ابتلع شيئاً من القوت ، والمرء اذا انهكه الجوع فان اول شيء يحدث له انه يبدأ يرى الاشياء هزيلة مترجرجة ، كما لو كانت هي التي تعاني آلام الجوع . وبعد تأمل طويل قلت لنفسي انه اصبح من الضروري ان اسرع في الحصول على القوت قبل ان تفلت الامور من يدي واصير عاجزاً حتى عن التفكير في الطعام . وشرعت افكر في اقرب السبل الى تحقيق هدفي ، ولكني لم اصل الى شيء ، لان المرء اذا كان في مواجهة امر مستعجل تملصت منه الافكار . وما هذه الخطرات التي لمست فكري غير ضرب من التخيلات الروائية . فقد تخيلت ان اقوم فاقفز الى داخل العربة واسرق محفظة نقود احد الركاب ... واهرب . او ادلف الى احد المخازن والتقط ما في الدرج ... واهرب . واخيراً قلت لنفسي : « ليكن ما يكون ... ان خير ما افعله هو ان اقوم باهانة احد رجال الامن فاعرض نفسي للتوقيف في مركز الشرطة حيث يقدم لي الحساء بصورة دائمة » . وفي هذه اللحظة صرخ صبي كان يجواري منادياً رفيقه : « رومولو » فأثار هذا الاسم في خاطري ذكرى شخص يدعى رومولو ايضا كان قد خدم الجندية معي . وشعرت بميل الى مجالسة رفيقي القديم والافضاء اليه بطرف من الاكاذيب المضحكة ، كأن اقول له اني كنت ميسور الحال في قريتي ، وان لم اكن قد ولدت في قرية وانما في ضاحية من ضواحي روما تسمى (بريما بورتا) . وفي الحق ، اني وجدت ان مثل هذه الكذبة قد تنفعني الآن . وكان رومولو قد فتح مطعماً بجانب (البانتيون) ، فقلت لنفسي : لماذا لا أذهب اليه واتناول هناك وجبة الطعام التي انا في اشد الحاجة اليها ؟ اما عند دفع الحساب فاني سأكشف له عن صداقتنا الودية القديمة واحدثه عن الخدمة العسكرية والذكريات المشتركة ، ولا احسب انه بعد كل هذا سيلجأ الى الشرطة لتوقيفي .

وقبل البدء بتنفيذ الخطة وقفت امام واجهة زجاجية لاحد المخازن لافحص هيئتي . ومن حسن الحظ اني كنت في ذلك الصباح قد حلقت لحيتي بآلة الحلاقة العائدة لرب الدار . وهو فراش في محكمة كان قد اجر لي الطابق الارضي من داره . والقيت نظرة على قميصي فوجدت انه وان لم يكن نظيفاً حقاً الا انه كان مقبولاً ، اذ لم اكن قد ارتديته الا لمدة اربعة ايام متتاليات . واما البدلة الرمادية فكانت تبدو جديدة ، وقد كانت هدية من امرأة طيبة كان زوجها الضابط رئيسي خلال الحرب . وكان الرباط متدلياً فوق القميص ، احمر اللون ، يعود عهده الى قبل عشر سنوات كاملات . ورفعت ياقة قميصي وعقدت الرباط على نحو جعل احد طرفيه قصيراً جداً والآخر طويلاً جداً ، فعمدت الى اخفاء الطرف القصير تحت الطرف الطويل ، وشددت ازرار الرداء حتى الرقبة . وعندما بدأت ابتعد عن واجهة المخزن ، لاحساسي بان الانظار شرعت تتجه الي ، شعرت بدوار في رأسي ، واصطدمت بشرطي كان واقفاً على حافة الرصيف . وقال لي الشرطي : « انتبه وانظر اين تضع قدميك . هل انت سكران ؟ » وبخطوات متمايلة اتجهت صوب البانتيون .

كنت اعرف العنوان ، ولكني لم اصدق عيني عندما وصلت الى المطعم . فقد كان الباب قبيح المنظر ، يقوم في نهاية زقاق صغير ، وقد استقام بجانبه عدد من البراميل المليئة بالفضلات . وكانت اللوحة المعلقة ذات لون كلون دم البقر ، وقد كتبت عليها هذه العبارة : « مطعم – مطبخ العائلات » . وكانت الواجهة ذات لون احمر ايضاً ، وان كل ما فيها من معروضات لم يخرج عن تفاحة واحدة . اقول تفاحة واحدة وانا اعني ما اقول ، ولا اقصد الى الهزل . وشرعت القي نظرة فاحصة لأتبين حقيقة الامر ، ولكني وجدت نفسي اندفع الى الداخل . وما كدت اجد نفسي داخل المطعم حتى ادركت كل شيء ، ولكن خيبة الامل ضاعفت احساسي بالجوع . وقد استجمعت شجاعتي وجلست الى احدى الموائد الاربع او الخمس التي كانت قائمة في الصالة المهجورة المعتمة .

وكانت قطعة قذرة من القماش تستر الباب المؤدي الى المطبخ . وطرقت المائدة بقبضة يدي وصحت : كارسون ! فحدثت حركة في المطبخ وانزاحت الستارة القذرة وظهر شبح ثم عاد واختفى ، ولكني استطعت ان اميزه ، فقد كان شبح صديقي رومولو . وانتظرت لحظة ثم طرقت المائدة من جديد . وفي هذه المرة اندفع صاحبي الى خارج المطبخ وهو يشد في عجلة ازرار ردائه الابيض العتيق الملطخ بالزيت . وتقدم مني وسألني في نبرة متسرعة مليئة بالامل : « هل من خدمة ؟ » . وقبل ان اجيب : « اريد ان اتغدى » فتح قنينة خمر ووجدت نفسي ملزماً بالشرب . واخذ صاحبي ينظف المائدة بقطعة من القماش ، ثم توقف فجأة وقال وهو يتأملني : « ولكن ... انت ريمو ...» فاجبته باسماً : « آه ... لقد عرفتني ... ». فقال : « وكيف لا اعرفك ؟ الم نؤد الخدمة العسكرية معاً ؟ الم يكن الرفاق يسموننا رومولو وريمو والذئبة ، بسبب الفتاة التي كنا نشترك معاً في مغازلتها ؟ » . وبالاختصار : الذكريات القديمة المشتركة ! وقد كان واضحاً انه لم يسرد علي هذه الذكريات لتعلقه بي شخصياً ، ولكن لاني كنت في تلك الساعة زبوناً ، وبعبارة اصح ، الزبون الوحيد في مطعمه .

١ نقلاً عن ترجمة فرنسية ظهرت في مجلة Preuves

ولا شك في ان الذكريات تساعدني دائماً على ان احظى بالترحاب .

واخيراً لمس كتفي بيده وقال : « ريمو المجوز ! » ثم استدار الى المطبخ ونادى : « لوريتا » ، فارتفعت الستارة وظهرت امرأة بدينة متمنطقة بمئزر ، تبدو عليها الكآبة والشك . وقال لها مشيراً الي : « هذا ريمو الذي حدثتك عنه كثيراً » . وابتسمت المرأة نصف ابتسامة والقت علي التحية بحركة مقتضبة . ووقع نظري في هذه الاثناء على صبي وصبية واقفين خلف المرأة . واخذ روموﻻ يتمتم :«حسناً ، حسناً ، حسناً جداً » وظل يكرر هذه العبارة كالببغاء ، وهو ينتظر اوامري . واخيراً قلت له:

– روموﻻ ، انا الآن في طريقي الى روما .. في مهمة تجارية .. ولما كان لا مناص من ان اتناول وجبة الغداء في مكان ما ، فقد قلت لنفسي لماذا لا اذهب الى مطعم صديقي روموﻻ ؟

– حسناً فعلت . والان ماذا تريد ان نقدم لك من الطعام الجيد ؟ سباغيتي؟

– طبعاً .

– سباغيتي على زبدة وجبن (بارميزان) ... فان هذا اللون من الطعام خفيف ويسهل اعداده بسرعة . وماذا بعد ؟ « بيفتك » من الصنف الجيد ؟ قطعتين من لحم العجل ؟ قطعة كبيرة من لحم البقر ؟ شريحة صغيرة من لحم العجل مقلية بالزبدة ؟

ولاحظت ان هذه المأكولات التي يقدمها مطعم روموﻻ بسيطة جداً وفي امكاني شخصياً اعدادها على موقد الزيت . فسألت صاحبي في شيء من الخبث:

– وماذا عن لحم الخروف ؟ هل عندك شيء منه ؟

– آسف .. اننا نعد لحم الخروف للعشاء فقط .

– لا موجب للاسف . هات قدة من لحم البقر مع بيضة ... على طريقة بسمارك

– على طريقة بسمارك ؟ حسناً .. مع بطاطة ؟

– مع سلطة .

– نعم ، مع سلطة .. ولترة من النبيذ .. المعتق .. اليس كذلك ؟

– من النبيذ المعتق .

وعاد الى المطبخ وهو يردد كلمة « معتق » ، وبقيت جالساً وحدي ، ورأسي لا يكاد يستقر في موضعه من الوهن . وبدأت اشعر بدنامة العمل الذي اقوم به ، ولكن تصميمي على انجاز هذا العمل بعث في نفسي شيئاً من الراحة والسرور ، فان الجوع يجعل المرء يميل الى القسوة . وقد خطر لي ان روموﻻ قد يكون اشد جوعاً مني ، ولكن هذا الخاطر بعث المتعة الى نفسي . وفي غضون ذلك كانت عائلة روموﻻ بأسرها تتشاور في المطبخ ، وكنت اسمع الزوج يتكلم همساً في شيء من العجلة والقلق ، والزوجة ترد في لهجة تنم عن عدم الرضى . واخيراً ارتفعت الستارة واندفع الصبي والصبية الى خارج المطعم ، وخطر لي ان روموﻻ لم يكن يملك حتى الخبز في مطعمه . وفي اللحظة التي ارتفعت الستارة استطعت ان ابصر المرأة واقفة امام الموقد تحاول ان تعيد الحياة الى النار الخامدة في الموقد . وخرج الزوج من المطبخ وجلس الى مائدتي ليتحدث الي ويتيح بذلك لولديه الفرصة الكافية لجلب الحاجات المطلوبة . ودفعني الخبث الى ان اسأل صاحبي :

– ارى انك استطعت ان تدير محلاً ظريفاً .. كيف حال العمل ؟

فاجاب منكساً رأسه :

– بخير ... العمل يجري بخير ... طبعاً ، تحدث احياناً بعض الازمات فاليوم ، هو يوم الاثنين ، ولكن ليس في وسعنا ان نخرج للنزهة ، كما هي العادة هنا .

– ارى انك قد ركنت الى حياة الزواج والاستقرار ، أليس كذلك؟

ونظر الي قبل ان يجيب . كان وجهه ممتلئاً وعلى شيء من الاستدارة كوجوه اصحاب الفنادق بصورة عامة ، ولكنه كان شاحباً ، ينم عن اليأس ، وقد تكاثف عليه شعر اللحية . وقال لي بعد برهة قصيرة :

– يبدو انك انت ايضاً قد ركنت الى الاستقرار .

فاجبت دون ان ابدي اهتماماً للاحظته :

– في الحق ، ليس عندي ما اشكو منه .. وان ارباحي في الشهر تتراوح بين مائة ومائة وخمسين ليرة .. ولكن يجب ان اقر بان العمل شاق.

– ليس العمل عندنا شاقاً دائما .

– حقاً .. انكم يا اصحاب المطاعم تقامرون بما ليس فيه مجازفة . فالناس قد يتخلون عن كل شيء الا عن الطعام . وانا اراهن على انك استطعت حتى ان توفر مبلغاً من المال .

وفي هذه المرة التزم الصمت مكتفياً بابتسامة حزينة اثارت في نفسي شعوراً بالشفقة عليه . وقال بعد لأي ، كمن يطلب الشفاعة : « عزيزي ريمو المجوز .. هل تتذكر الايام التي قضيناها معاً في (كابيت)؟» واخذ يستعرض الذكريات ، لانه وجد في ذلك ما يصرفه عن سرد الاكاذيب عن مطعمه وعمله ، ولان هذه الذكريات تشكل اسعد ايام حياته ، على اغلب الظن . وفي هذه المرة ثارت في نفسي عاطفة صادقة قوية ، ومنحته الاطمئنان بقولي له بأني اتذكر هذه الايام . وفي الحال ، احس صاحبي بالانتعاش وبدأ يتحدث ويضحك ويضغط على كتفي بين فترة واخرى .

صدر اليوم

هذا الجسد

في أخطر قضاياه

يشرح هذا الكتاب ويبحث بحثاً علمياً رصيناً في :
جهاز الرجل التناسلي ، جهاز المرأة التناسلي ، حياة الرجل الجنسية ، حياة المرأة الجنسية ، الرغبة الجنسية لدى الرجل والمرأة ، العمل الجنسي ، التلقيح ، الحمل ، الولادة ، الصحة الجنسية في دور المراهقة والطفولة ، الصحة الجنسية لدى البالغ ، الاستمناء او العادة السرية ، مظاهر الشذوذ الجنسي ، السمو بالرغبة الجنسية ، الامراض الزهرية .

مكتبة المعارف
شارع المعرض – بناية الغندور
طابق أول
ص.ب: ١٧٦١ – هاتف: ٢٨٨٠١
بيروت

الثمن ١٠٠ ق.ل

يطلب من

وعاد الصبي الى المطعم يمشي على اصابع قدميه ، حاملا بين يديه قنينة نبيذ وملأ رومولو كأسي . واسرع في ملء كأس له حالما طلبت منه ذلك . وقد اطلق النبيذ عنان لسانه اكثر من قبل ، وبدا واضحاً ان معدتـــه ايضاً كانت خاوية . وبقينا نثرثر ونحتسي الخمر مدة تقرب من عشرين دقيقة الى ان رأيت ، وكأنني في حلم ، الصبية الصغيرة عائدة الى المطعـــم. يالمسكينة ! لقد كانت تحمل بين ذراعيها الصغيرتين رزمة قد اسندتها الى صدرها ، وبدا لي ان الرزمة تحتوي على قليل من كل الاشياء الـــتي طلبتها . فتلك قطعة البيفتك قد لفت بورقة صفراء ، والبيض قد غلف بجريدة قديمة ، والخبز قد وضع في حقيبة جلدية بلون الكستناء ، والزبد والجبن في ورقة مشبعة بالزيت . ووقع نظري ايضا على السلطة في هيئة كتلة خضراء ، وعلى قنينة خمن بانها تحتوي على زيت . وقد اتجهـــت الصبية مباشرة الى المطبخ ، تبدو عليها ملامح الرزانة وامارات الارتياح، واذكر انها عندما اقتربت منا في طريقها الى المطبخ ، اخذ رومـــولو يتحرك في كرسيه ذات اليمين وذات الشمال ، محاولا حجبها عني . ثم ملأ كأسه وعاد يشرب ويتحدث عن الذكريات من جديد . وفي اثناء ذلك سمعت الام تحدث ابنتها في المطبخ بصوت منخفض : « انه لم يقبـــل ان يعطيني اقل مما اعطانيه ». وبكلمة واحدة : احسست بما تعاني عائلة رومولو من بؤس كامل مطلق ، يكاد ان يكون اشد فظاعة من بؤسي . ولكني كنت جائعا، فما ان وضعت الصبية صحن السباغيتي امامي حتى اندفعت التهمه دون ان اشعر بوخز في الضمير بل اكثر من هذا: ان فكرة تناول الطعام على حساب اناس بلغوا من الفقر مبلغ فقري قد اثارت الشهية في نفسي. ولحظت رومولو ينظر الي في شيء من الحسد وفكرت في ان صاحبي هو الاخر، ما كان ليسمح لنفسه ان يكثر من تناول هذا اللون من الطعام. وقد خطر لي ان ادعوه الى مشاركتي فقلت له: « هل ترغب في ان تتذوقه ؟ » فهز رأسه علامة الرفض ، ولكني تناولت كمية بالشوكة ودفعتها الى فمه ، فأخذ يلوكهـــا ويقول ، كمن يحدث نفسه : « فاخر . ليس فيه ما يعاب » . واحضرت الصبية بعد ذلك صحناً من البيض والسلطة ، ويبـــدو ان رومولو احس بالخجل من بقائه الى جانبي يحصي علي كل لقمة ابتلعها ، فقام واتجه الى المطبخ. وبقيت وحيداً التهم الطعام التهاماً حتى أحسست بالتخمة . وما الذ الاكل عند الجائع ! كنت ادفع بقطعة الخبز الى فمي ، والحقها بجرعة كبيرة من النبيذ ، فامضمها ، ثم ابتلعها ! وفي الحق ، اني لم اشعر بمثل هذه المتعة منذ سنوات طويلة .

وفي ختام الوجبة احضرت الصبية كمية من الفاكهة والحلوى ، فطلبت اليها ان تأتيني بقطعة من جبن (البارميزان) لاتناولها مع الكمثرى . وعندما انهيت وجبة الطعام ، ارتميت على مقعد الكرسي ، ووضعت بين شفتي مسواكاً لتنظيف اسناني . وعـــند ذاك خرج من المطبخ افراد العائلة بأسرهم واحاطوا بي متأملين اياي كمن يتأمل شيئاً ثميناً . وكان رومولو منشرحاً ، بتأثير الخمرة بلا شك ، واخذ يقص علي قصصـــاً عن النساء اللاتي تعرفنا اليهن عندما كنا معاً في الفرقة العسكرية . اما الزوجة فعلى العكس ، كانت تبدو حزينة جداً بوجهها الفـــذر المحتم بالفحم . وحولت نظري الى ولديها فلحظت الشحوب يملو وجهيهما من قلة التغذية ، وبدت عيونها اكبر من ان تنسجم مع رأسيهما . وتملكني فجأة احساس بالندم ، وبالاخص عندما قالت الزوجة :

– لو يأتينا ، في كل وجبة، خمسة او اربعة على الاقل من الزبائن الذين هم على شاكلتك ، اذن لتحسن العمل .

فسألتها متظاهراً بالسذاجة :

– ماذا، الا يأتيكم زبائن ؟

– يأتينا منهم عدد قليل فقط، وعلى الاخص عند وجبة العشاء ، ولكنهم فقراء ، يجلبون معهم بعض الطعام التافه الخفيف ، ويطلبون نبيذا ... آه ... قليلاً فقط من النبيذ ... قدحاً واحداً ... واما في الصباح ، فاني لا اتكلف حتى اعداد الموقد ، اذ ليس من احد يأتينا .

ولم ادر لماذا اثار هذا الحديث رومولو ، فقد التفت الى زوجته وقال :

– كفي بالله عن هذه الانات والآهات ، فانها تجلب الشقاء .

فاندفعت زوجته ترد عليه في شيء من الفظاظة :

– الشقاء ؟ انك انت الذي تجرنا اليه ... وما انت الا طير الشؤم ... اني اجهد اشد الجهد واقتل نفسي من اجل انجاز عملنا ، في الوقت الذي تتقاعس انت عن القيام باي جهد وتقضي وقتك في استعراض الذكريات عن الايام التي كنت تؤدي فيها الخدمة العسكرية ... فمن هو طـــير الشؤم اذن ؟

كان هذا المشهد يجري امامي في الوقت الذي لم اكن افكر الا في الطريقة التي تساعدني على التخلص من دفع الحساب . ومن حسن حظي ان ثار رومولو اخيراً ورفع يده وصفع زوجته. فما كان منها الا ان اندفعت الى المطبخ واحضرت سكيناً حاداً طويلاً يستعمل لتقطيع لحم الخـــنزير واشهرته في وجه زوجها وهي تصرخ : « سأقتلـــك » . وارتعب الزوج وانطلق صوب القاعة مصطدماً بالموائد والكراسي . واخـــذت الصبية تجهش بالبكاء ، وذهب اخوها الى المطبخ وتناول مدقة ليدافع بهـــا عن ابيه ، او عن امه – لم يكن في وسعي ان اعلم . وادركت ان هذه هي الفرصة الوحيدة التي استطيع فيها ان انجو بنفسي ، فقمت عن الكرسي واخذت اقول : « الهدوء ... يا للشيطان ... الهدوء ، الهدوء » وبقيت اكرر هذه العبارة حتى وجدت نفسي خارج المطعم . واسرعت الخطى واستدرت الى جهة البانتيون، ثم بدأت اتمهل في المشي متجهاً صوب كورسو.

نقلها عن الفرنسية

بغداد

ادغار سركيس

صدر حديثاً

ليل ودموع وسمراء

اعترافات

للاستاذ محمد سعيد الجنيدي

منشورات دار الآداب
للتأليف والترجمة والنشر – عمان